وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الرابع

محفوظة جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN 9789922778358

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الرابع، (٥٨٠ صفحة)، ٢٤ سم.
١.الإمام الحسين بن علي عليهما السلام - الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٤) - لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ أقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم
السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم
م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية
أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين
م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي
م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي
أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

أهميَّةُ التوظيفِ القرآنيِّ في خطبِ أميرِ الؤمنينَ عليه السلام ١١

م . د. فراس عبدالخالق منديل الغانمي/ م. م. هبه قاسم زويد الموسوي

الأبعادُ القرآنيَّةُ للعدالةِ والتوسعةِ الاقتصاديَّةِ في سيرةِ أميرِالمؤمنينَ عليه السلام ٣٥

الدكتور مصطفى الغفوريّ

النَّهْجُ القُرْآنيُّ للإمَامِ عليّ بن أبِي طَالب عليه السلام في التَّسَامُحِ والإصْلَاحِ السِّيَاسيِّ وأَثَرُهُ في المُجْتَمَعِ الإسْلاَمِيِّ ٥٩

د. عادل محمّد زيادة البهيّ

أسبابُ اختلافِ الحديثِ في روايةِ الإمام عليّ عليه السلام ٩٥

د. حميد البغدادي

أثرُ الخطابِ القرآنيّ في التّربيةِ العقليّةِ والنّفسيّةِ عند أميرِ المؤمنينَ عليه السلام (كتابُ نهجِ البلاغةِ أنموذجًا) ١٢٣

د. ريما حسين أمهز

الآياتُ القرآنيّةُ المصاحبةُ للتُّحفِ الأثريّةِ التي تحمل اسم الإمام عليّ عليه السلام (دراسة في الشكل والمضمون) ١٥٥

د. عبد الحميد عبد السلام أبوعِليو

منهجيّة الإمام عليّ عليه السلام في الحكم وإدارة البلاد..... ٢١٧

د. منى حسن خازم

أثرُ أميرِ المؤمنين عليّ عليه السلام في العلوم الإنسانية (الفنون والرسم) لوحات الفنان الإيراني حسن روح الأمين أنموذجًا دراسة تحليلية ٢٤١

د. نجلاء حسين الصراف

الأثرُ القرآني لأميرِ المؤمنين عليه السلام في العلوم النفسيّة والتربويّة (شخصيّة المنافقين أسبابٌ ومعالجاتٌ)..... ٢٦٧

د. وفاء كاظم جبار

التفسيرُ القرآنيّ للإمامِ عليّ عليه السلام وانعكاساتُه في خطبِه ورسائلِه السياسيّة -دراسة تحليليّة- ٢٩٧

م. د خديجة حسن علي القصير

تَوْظِيفُ التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ فِي نظم نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وأَثَرُه في دِرَاسَةِ الإيقَاع الصَّوْتِيَّ وموسيقى الصُّورَةِ الصَّوْتِيَّةِ ٣١٩

م. د دُرَيد عبْد الله يُوسُف

دورُ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام في تنميةِ مهاراتِ التواصلِ الاجتماعيِّ لدى الأطفالِ من وجهةِ نظرِ أفرادِ المجتمعِ العراقيِّ ٣٥٩

م.د. هيفاء محمود الأشقر

مفاتيحُ الإدارةِ في الرؤيةِ القرآنيّة العلويّة ٣٩١

د. ذو الفقار جواد ناجي جاسم

النظامُ الاقتصاديُّ في عصرِ أميرِ المؤمنينَ عليّ عليه السلام مرجعيّاتُه القرآنيّةُ ٤١٧

د. رحاب حسين جبار إبراهيم الزغير

التربيةُ في فكرِ الإمامِ عليّ عليه السلام من منظورٍ قرآنيّ..... ٤٤٩

د. فاطمة مهدي البزال

مروياتُ أمير المؤمنين عليه السلام وفقهه في كتب الحديث دراسة نقدية - صحيح البخاري أنموذجًا ٤٧٧

السيّد الدكتور عبد الستار الجابري

أثرُ أميرِ المؤمنين عليه السلام القرآني في العلوم الإسلاميّة علوم القرآن الكريم أنموذجًا ... ٥١٩

الدكتور ليث عبد الحسين فرحان العتابي

شذراتٌ تربويّة بين الخطاب القرآني وفكر الإمام عليّ عليه السلام ٥٥٣

م.د. براء علاء عبدالحسين الركابي/ م. م. أياد حسن كاظم العبدالله الحوزي

أهميَّةُ التوظيفِ القرآنيِّ في خطبِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام

م . د. فراس عبدالخالق منديل الغانمي
جامعة القادسية – كلية الآداب
م. م. هبه قاسم زويد الموسوي
ماجستير علوم القرآن

الملخّص:

إنّ هذا البحث هو محاولة لاستجلاء الأثر القرآنيّ في بعض خطب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ إنّ التوظيف القرآنيّ يُشكِّل علامة بارزة في خطبه، التي ما تزال في كتب التاريخ، فما كان للإمام عليّ عليه السلام إلّا أنّ يلتَمِسَ منه، وإذا أخذ منه بعض تعبيراته أخذها وهو يُدرك أنّها تشعّ ببهائها في كلامه، وتُزيّن خطبه وتُعلي ما يُحيط بها من فضاء النصّ النثريّ على ما سواه، ولذا وجد نفسه منساقًا للأنساق القرآنيَّة من تراكيب الجمل والألفاظ والمضامين.

إنّ التوظيف القرآنيّ في خطب الإمام عليّ عليه السلام يُمثِّل علامة بارزة، وفي كلّ مرّة نكتشف توظيفًا قرآنيًّا في ثنايا خطبه، ووجدنا أنّ هذا التوظيف يمكن النظر إليه من زوايا عدّة هي محاور البحث، التوظيف اللفظيّ، التوظيف المعنويّ، التوظيف العلميّ، توظيف الرسل والأنبياء.

ووجدنا أنّ الأمر يُوجب على أن تُؤسَّس أرضيَّة لهذا التوظيف، تكون منطلقًا لدراسة هذا الأثر الجليل في خطب الإمام، كي تكون النتائج متطابقة مع المقدّمات،

ففعلنا هذا في تقديم سمّيناه (الأثر القرآنيّ)، وأشفعنا البحث بخاتمة لأهمّ النتائج.

الكلمات المفتاحيّة: التوظيف، القرآنيّ، خطب الإمام علي عليه السلام .

Abstract:

This research is an attempt to elucidate the Qur'anic influence on selected sermons of Imam Ali bin Abi Talib (pbuh). The employment of Qur'anic elements serves as a prominent hallmark in his oratory, as preserved throughout historical records. Imam Ali (pbuh) sought inspiration from the Divine Text, integrating its expressions with a deep realization that they radiate brilliance within his discourse, adorning his sermons and elevating the surrounding prose beyond all else. Consequently, he was naturally drawn to Qur'anic paradigms in terms of sentence structures, vocabulary, and thematic content.

The Qur'anic incorporation in Imam Ali's (pbuh) sermons represents a significant stylistic marker. Each discovery of such incorporation within his speeches reveals multiple dimensions, which constitute the core axes of this research: Lexical Incorporation, Semantic Incorporation, Scientific Incorporation, and the Incorporation of Prophets and Messengers.

The study establishes a foundational framework for this "employment" as a starting point for examining this sublime influence, ensuring that the results align consistently with the premises. This is presented in an introductory section titled "The Qur'anic Influence," followed by a conclusion summarizing the most significant findings.

Keywords: Incorporation (Tawzeef), Qur'anic, Imam Ali's (pbuh) Sermons.

المقدّمة:

إنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام تلميذ القرآن الذي كان مذهبه في التعليم؛ لأنَّه أصل العلم وأساسه، لذا يطالعنا الإمام عليه السلام بثقافة واسعة تمثَّلت بموسوعة متكاملة بكتاب نهج البلاغة، وإلى هذا المعنى بالذات أشار إليه ابن أبي الحديد، إذ عدّ كلام الإمام في الذروة العليا من النثر العربيّ الرائع، وهذا ما نجده حقيقة ماثلة في خطبه عليه السلام وهو الذي قال عن نفسه نحن أمراء الكلام[١]، وتتمثَّل ثقافة الإمام عليّ عليه السلام بحفظ القرآن الكريم ورواية الحديث والشعر العربيّ، وكان كلّ ذلك منبعًا ثرًّا لانطلاق موهبته النثريّة، وهي تفصح عن ثقافته الموسوعة في علوم عصره ومعارفه، وخصوصًا القرآن.

لقد اتّخذ الإمام عليّ عليه السلام القرآن الكريم شرعة ومنهاجًا، مؤكِّدا هذا الأمر من خلال فنّه الخطابيّ، إذ يقول: ((تَعَلَّمُوا القُرآنَ فأَنَّه أحسنُ الحديثِ، وتَفَقَهُوا فيهِ فإِنَّهُ رَبيعُ القُلُوبِ))[٢].

هكذا كان أميرالؤمنين عليه السلام متوجّهًا نحو القرآن الكريم، ولعلّنا في الصفحات القادمة نُبيّن شيئًا ولو يسيرًا عن التوظيف القرآنيّ في فنّه الخطابيّ بغية الوقوف على الأواصر الحقيقية بينها وبين لغة القرآن الكريم التي يمكن آن تكون مرجعًا لغويًا لخطبه عليه السلام، ولعلّ من المفيد ونحن نتحدَّث عن التوظيف في بعض خطب الإمام عليّ عليه السلام أن نقف عند المدلول اللغويّ للفظة التوظيف والصور الاصطلاحيّة لنكون على بينة من المدلولين.

---

(١) ينظر: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (شخصيته وعلمه) : ٢٩٦ .

(٢) م. ن: ٢/ ٤٨٣ .

توطئة:

تمدّنا (المعجمات) اللغويّة بالمعطيات الآتية، فقد جاء في لسان العرب ((وظّف الشيء على نفسه ووظّفه توظيفا: ألزمها إيّاه، وقد وظّفت له توظيفًا على الصبيّ كلّ يوم حفظ آيات من كتاب الله عزّ وجل))[١]، وفي المعجم الوسيط ((وظّف القوم تبعهم وظّف الشيء على نفسه، ألزمها إيّاه))[٢]، وفي المنجد ((وظّف الشيء على نفسه: ألزمها إيّاه، ووظّف على الصبيّ كلّ يوم حفظ آيات من كتاب الله، أي عيّن له آيات ليحفظها، ووظّفه: وافقه ولا زمه، استوظف الشيء: استوعبه))[٣].

ومن هذا العرض اللغويّ يظهر أنّ معنى التوظيف هو الالتزام والحفظ والمتابعة والاستيعاب والملازمة، وفي الاصطلاح بوصفه آليّة من آليّات الإبداع في الحفظ والاستيعاب والملازمة، وهو ممّا يُستعان به في بناء النصوص وإنتاجها، فقد يوظّفها المبدِع في مستهلّ نصّه أو يضمّه وسطه، أو قد يرجئ بثّه في ختامه، على وفق استراتيجيّة معيَّنة يهدف إلى طرحها كي يصل إلى الغاية (البنائيّة، الدلاليّة) المنشودة.

ولا يختلف هذا المعنى الاصطلاحيّ عن المدلول اللغويّ الذي استعملناه، فتلاقى المدلولان في احتوائهما على معنى الآليّة التي يتوصّل بها المبدِع في تشكيل نصوصه الإبداعيّة من جهتَي الرؤيا والأنساق (بنية وإيقاعا) بحسب ما هو مرسوم في القرآن الكريم، وتُعين هذه الآليّة القارئ على اكتشاف قسط من مرجعيّات ذلك النصّ المبثّ المتّكئ في إحدى زوايا باطنه أو ظاهره على القرآن لتكون هذه الآليّة مفردة من مفردات النصّ الجديد.

---

(١) لسان العرب: ٩/ ٣٥٨ مادة (وظف).

(٢) المعجم الوسيط: ٢/ ١٠٥٤ مادة (وظف).

(٣) المنجد في اللغة والإعلام: ٩٠٧ مادة (وظف).

المبحث الأوّل: التوظيف في اللفظ والمعنى

المطلب الأوّل: التوظيف اللفظيّ:

لقد تميَّزت اللفظة القرآنيّة وتفرَّدت بخصائص ومميّزات خاصّة لا تتوفَّر في أيّ كلام آخر من كلام البشر، فكلّ لفظة تجد فيها روحًا وعذوبة[١]، ((وتجد فيها وفي كلّ ما يتّصل بها من ألفاظ روحًا وعذوبة، فإنّ كلام الله قد تفرَّد بخصائص كثيرة لا يشاركه فيها كلام البشر أيًّ كان قائله))[٢]. فإنّ لكلّ لفظة خصوصيّتها من حيث فاعلية التعبير القرآنيّ، فهو ((تعبير فنّيّ مقصود، كلّ لفظة بل كلّ حرف فيه وُضِع وصفًا فنيًّا مقصودًا))[٣].

وفي النصّ القرآنيّ جرس يَطرُق الآذان ويجعلها متأثِّرة، ((ومع الألفاظ المستحسنة في الآذان وعلى الأفواه، الألفاظ التي تُغذِّي العقول برحيقها الصافي وتشفي القلوب والنفوس))[٤]، فنجد المفردة القرآنيّة دائما ما تتّسم بالدقّة في الوضع والاختيار والتناسق؛ لأنّها ناطقة شكلًا ومضمونًا. وإنّ الإمام عليّ عليه السلام قد وظّف اللفظة القرآنيّة في إطار فنّيّ مواكب، حتّى كأنّها قد وُلِدت معه، ((كلّ كلمة من كلمات الإمام هي جزء من ذاته وطبيعته، أو ولد فيها))[٥].

وإنّ الناظر في خطبه عليه السلام يلحظ أنّه قد عمد إلى اللفظ القرآنيّ الكريم في أغلب خطبه، لأنّه كان على صلة كبيرة بالقرآن، وقد كان لهذا القرآن أثره البالغ في لغة

---

(١) حسبنا أن نشير هنا إلى قول الباقلاني: ((اليس كلّ كلمة منها في نفسها غرة وبمنفردها درة))، إعجاز القرآن: ٢٨٦ .

(٢) في ظلال نهج البلاغة: ١ / ٦٠ .

(٣) التعبير القرآنّي: ١٢ .

(٤) العصر الإسلاميّ: ٣٤ .

(٥) في ظلال نهج البلاغة: ١ / ٣٨٠ – ٣٨١ .

الإمام عليه السلام وأساليبه، ومضامين إنتاجه الأدبيّ؛ ممّا جعلها أفصح ألفاظًا، وأسهل تركيبًا، وأعذب تعبيرًا، واتّسعت فيها دائرة الألفاظ. وسنورد على ذلك أمثلة من بعض الخطب لأمير المؤمنين عليه السلام تبيِّن كيفية توظيف النصّ القرآنيّ فيها، التي يسعى الإمام إلى التأثير في العقول من خلال اعتماده على الحجج والبراهين، ثمّ يتخطّى ذلك ليحرِّك العاطفة، ويذكِّر بالمثُل العليا من خلال استخدامه الألفاظ والتراكيب المختارة بحريّة تامّة، لا تقيّدها قافية، ولا ترتهن لإيقاع معيّن بذاته إلّا لمامًا.

ومنها لفظة (الليل والنهار)، التي وردت في خطبة (الجهاد باب من أبواب الجنّة)، فقد استهلّ الإمام عليه السلام خطبته بذكر الجهاد، واصفًا أهميّته القصوى وقيمته الفضلى التي لا تعادلها قيمة سامية أخرى، فالجهاد تضحية وفداء وبذل لأغلى ما يملكه الإنسان، وهي الروح، ولذلك عمد إليها الإمام عليه السلام ووظفها إذ يقول: ((وَقَدْ دَعَوْتُكمْ إلى حَرْب هؤلاءِ القَوْمِ ليلًا ونهارًا))[1]، وهنا يوظّف قوله تعالى: ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمي ليلًا ونهارًا﴾[نوح:٥].

وإنّ الإمام عليه السلام هنا يعقد موازنة بين دعوة نبيّ الله نوح عليه السلام إلى عبادة الله (سبحانه وتعالى) وبيّن دعوته إلى الجهاد الذي يأمر به، ويحثّ عليه، ويرغّب فيه، ويُحذّر من تركه، وما يتبعه من سوء العاقبة، وهذه الموازنة أفادها الإمام من لفظة (ليلًا ونهارًا)، وأنّه تفنَّن في نقل غرضه إلى الآخرين، واتّبع كلّ الأساليب التي تُمكِّنه من تصوير مأساته، ولِيَدُلّك على عِظَم مصيبته.

وفي مثال آخر يوظّف الإمام عليّ عليه السلام لفظة (كُنْ فَيَكُونُ)، التي وردت في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّما أَمرُهُ إذا أرادَ شيئا أنْ يَقولَ لَهُ كُنْ فَيَكونُ﴾[يس:٨٢]، حينما يريد أن يتحدَّث عن صفات الله (سبحانه وتعالى)، فيقول: ((يقولُ لِمَنْ أرادَ

(١) الكامل في اللغة والأدب: ٢/ ٢٣ .

كَوْنَهُ: (كُنْ فَيَكونُ)، لا بصوتٍ يَقْرَعُ، ولا بنداءٍ يُسْمَعُ))[١]، وجاء توظيف الإمام عليه السلام هنا في باب (كُنْ فَيَكونُ)، وقد أراد به الإسرار ما دام يقول للشيء كن فيكون.

ومن القيم الروحيّة التي استلهمها الإمام عليه السلام من التعبير القرآنيّ في الصياغة لفظة (الصلاة)، والصلاة قيمة روحيّة عُليا تهدف إلى تهذيب النفس وتطهير القلب، فلذلك عَمد إليها الإمام عليه السلام ووظّفها في أكثر من موضع، وأكثر من مناسبة خطابيّة، إذ يقول: ((تَعاهدوا أمْر الصلاة، وحافظوا عَلَيْها، واسْتَكْثروا منها، وتقرّبُوا بها، فإنَّها كانتْ على المؤمنينَ كِتابًا موقوتًا))[٢]، وفي قوله أيضًا: ((وقد عَرَفَ حقَّها رجالٌ من المؤمنين الذين لا تشغلهم عَنْها زينة متاع، ولا قُرّة عين منْ ولدٍ ولا مالٍ))[٣]. فقد نظر في خطابه المتقدِّم، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[النساء:١١٣]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[النور:٣٧].

لقد قرن الإمام عليّ عليه السلام بين أمر الصلاة والحفاظ عليها، والاستكثار منها، والتقرُّب بها، والرجال الذين وجدوا حلاوة الإيمان، وعقلوا أسرارها، وعرفوا أهدافها، وما ذاك إلّا أنّها كانت كتابًا مفروضًا.

ويوظّف الإمام عليّ عليه السلام أيضًا عناصر الوحدانيّة لامتناع الحدوث عليه توظيفًا موحيًا بمشاعر الشخصيّة الخطابيّة، وذلك فضلًا عن إيحائه بالدلالة العامة للوحدانيّة لامتناع مجانسته واحتياجه إلى معين، وفنائه وتوريثه، فيقول عليه السلام: ((لَمْ يُولَدْ سُبحانهُ فيكون في العزِّ مشاركًا، ولَمْ يَلدْ فيكون موروثًا هالكًا))[٤]. وهنا الإمام عليه السلام قد نظر

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٤ / ٧٨.
(٢) م. ن: ٤ / ٣١٧.
(٣) م. ن: ٤ / ٣١٧.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٨١.

إلى قوله (سبحانه وتعالى) ﴿لَمْ يَلِدْ ولمْ يولدْ﴾[الإخلاص:٣] .

ومن الألفاظ: (الأمانة، السموات، الأرضين، الجبال، أشفقن)، التي وردت في قوله (سبحانه تعالى) : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب:٧٢].

يفيد الإمام عليّ عليه السلام في قوله: ((ثُمَّ أداء الأمانةِ، فقد خاب مَنْ ليس من أهلها، إِنَّها عُرِضَتْ على السماوات المبنيّة، والأرضين المَدْحُوَّة، والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا أطولَ ولا أعرضَ، ولا أعلى ولا أعظم منها، ولو اقتنع شيء بطول أو عرض أو قوّة أو عِزّ لاّمْتَنعْنَ، ولكن أشفقن من العقوبة، وعَقَلْنَ ما جهلَ مَنْ هو اضعف منهُنَّ، وهو الإنسانُ))[١]، وقد كفانا محمّد جواد مغنية بالتعليق على قول الإمام عليه السلام بقوله: ((إنّ الله سبحانه منح الإنسان القدرة، والعقل، والإرادة، وميَّزه بذلك عن جميع الكائنات التي نعرفها، وأهله بهذه النعمة لتحمُّل المسؤوليَّة عن دين الله الذي بيّنه على لسان أنبيائه))[٢].

ومن اللفظة القرآنيّة (صِرٌّ)، التي وردت في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿كَمثلِ ريحٍ فيها صِرٌّ﴾[آل عمران:١١٧]، يفيد الإمام عليه السلام في قوله: ((قُلتم: أوان قُرٍّ وصِرٍّ))[٣].

والإمام عليّ عليه السلام لم يقتصر على توظيف اللفظة القرآنيّة (صرٌّ) التوظيف الموضعيّ المحدود للتعبير عن شدّة البرد، وإنّما أراد أن يشير إلى أنّ ترك (الجهاد) والتخلّي عن تأديته من المخازي، ومن الذلّ والهوان، وهذه الموازنة أفادها

---

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٤ / ٣١٨ .

(٢) م. ن: ٤ / ٣٢٥ .

(٣) الكامل في اللغة والأدب: ٢/ ٢٣ .

الإمام عليه السلام من اللفظة القرآنيّة (صرُّ)، إذ إنّ نجاح الألفاظ يعود في جزء كبير منه إلى قدرتها التي تولّد المواقف المطلوبة، والإفصاح عن المعاني الدفينة التي تجول في نفس الباحث وداخل وعيه، فليست الألفاظ ((هدفًا لذاتها، وإنّما هي وسيلة نتّخذها للتعبير عن الدلالات والخواطر التي تجول في أذهاننا))[١].

وعندما أراد الإمام عليّ عليه السلام في باب الأمر على فعل الطاعة أن يُقدِّم النصيحة لأبناء جنسه من البشر، لفعل الخير وخصال المعروف، أشار إليه في قوله: ((وتعاونوا على البرّ والتقوى، وأطيعوا الله فيما فرض عليكم وأمركم به))[٢]، وواضحٌ أنّه يشير إلى قوله (سبحانه وتعالى): ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة:٢]، وممّا لا شكّ فيه أنّ في القرآن الكريم فلسفة الحثّ على التعاون، بوصفه قيمة اجتماعيّة تكفل للمجتمع سعادته قوامها التكافل والتوازن والتعاطف، ولهذا فالقرآن الكريم وقف على أدّق دعائم المجتمع المتكافل والمتعاون وصورها تصويرًا دقيقًا، ومن ذلك كلّه أفاد الإمام عليّ عليه السلام في قوله.

إلى جانب (التعاون) الألفاظ القرآنيّة (البرّ- التقوى) نجد الألفاظ القرآنيّة (التحيّة)، (ردّوها) تأتي على لسان الإمام في شكل توظيف فنيّ له دلالته الخاصّة، فهي كثيرًا ما تبدو مرتبطة بالآداب التي تزيد المحبّة بين أفراد المجتمع، قال: ((أفشوا السلام في العالم، وردّوا التحيّة على أهلها بأحسن منها))[٣]، ونرى الدلالة ذاتها ممثّلة في هذه الآية: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[النساء:٨٦].

ولنا أن نقف قليلًا عند صورة اللفظة القرآنيّة (الرياح) التي رسمها لنا

---

(١) طرائق تنمية الألفاظ: ٥ .

(٢) نهج البلاغة: ٢٩٧ .

(٣) م. ن: ٢٦٠ .

الإمام عليه السلام في قوله عن ابتداء خلق السماء والأرض، قال: ((ونشرَ الرياحَ برحمته))[1]، ناظرًا في ذلك إلى قوله (سبحانه وتعالى): ﴿يُرسلُ الرياحَ بُشرا بَيْنَ يَدَيْ رحمتِهِ﴾[الأعراف:٥٧]، لقد استطاع الإمام عليّ عليه السلام توظيف اللفظة القرآنيّة (الرياح)، في شكل لفظة موجبة ومعروفة بالرحمة، وهي المطر؛ لأنّها هي التي تحمل البخار، وتصعد به إلى طبقات الجوّ العالية الباردة، فينعقد ماء، كما هي التي تبشِّر قبل حدوث نعمة المطر، وهذا الاقتران أفاده الإمام عليّ عليه السلام في لفظة (الرياح).

إنّ هذا التوظيف الذي أشرنا إليه سابقًا، لا يُمثِّل إلّا نسبة يسيرة من التوظيف اللفظيّ الذي تغلغل في خطب الإمام، إذ إنّ هناك الكثير غيره مبثوثًا في ثنايا الخطب. وهكذا نلمس أنّ الألفاظ القرآنيّة التي استخلصها الإمام من ثنايا القرآن الكريم، قد أضفت على النصّ الخطابيّ صفاء الأسلوب، ووضوحه، وسلامة اللفظ المدعوم بقوّة المعنى، ممّا يدلّ على مهارة الإمام، وقدرته في توظيف اللفظة القرآنية ذات الجزالة، وقوة الإيحاء والمتانة التي تتم على معرفته التامة بأسرار اللغة.

المطلب الثاني: التوظيف المعنويّ:

بعد أن تعرّفنا في المطلب السابق على النمط الأوّل من التوظيف هوالتوظيف اللفظيّ، فإنّ الإمام عليّ عليه السلام تلمَّس نمطًا آخرَ، وهو التوظيف بالمعنى، محاولًا بذلك أن ينقل معنى النصّ القرآنيّ إلى نصّه الخطابيّ وصولًا إلى بناء النصّ، ووفقًا لدلالة معيَّنة يهدف إلى طرحها كي يصل إلى الغاية البنائيّة والدلاليّة، إذا ما علمنا بأنّ هذا النمط من الإشارة القرآنيّة يفيد الخطيب في التركيز على ما يريد قوله، وتكثيف بنائه التعبيريّ، ولا بدّ أنّه عليه السلام قد آثر القوّة والجمال في سطوح بيانه ورصانة حجمه وجمال عباراته وسهولتها، فضلًا على سلامة ذوقه في اختيار توظيفه

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٥٧ .

وحُسْن تقريره المعنى في الإفهام من أقرب وجوه الكلام.

فمن ذلك صفة (السماء) في إقرارها لله عزّ وجلّ بالطاعة، نجد ذلك واضحًا في قوله عليه السلام : ((ناداها بعد إذ هي دخان))[١]، ويرجعنا هذا التوظيف المعنويّ إلى النصّ القرآنيّ الذي جاء فيه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[فصّلت:١١]، إذ شكّل لنا هذا التوظيف وحدة دلاليّة وثيقة تربط الخطيب بالمدلول القرآنيّ، بصورة يرسم أجزاءها الخطّ المعنويّ الموصل إلى أنّ مادّة الكواكب كانت في البدء أشبه بالدخان، أو البخار، ويُشير بهذا إلى قدرة الله (سبحانه وتعالى).

وكذا بذر الإمام عليّ عليه السلام التوظيفة القرآنيّة التي أحلّها في قوله: ((وفتق بعد الارتاق صوامت أبوابها))[٢]، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[الأنبياء:٣٠]، إذ استعمل هذه التوظيفة في وصف القدرة الإلهيّة، ففتق سبحانه السماء بالمطر، والأرض بالنبات لتكون لهذه التوظيفة معنى وفقًا لدلالة النصّ القرآنيّ.

وقوله عليه السلام: ((وفرض عليكم حجّ بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام))[٣]،إنّ التوظيف المعنويّ قد جاء واضحًا في هذه الفقرة، بحيث لا تستلزم من الباحث جهدًا لمعرفة ما جاء به القرآن الكريم في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران:٩٧]، إذ حدّد الإمام بتوظيفة من خلال المعنى، الذي جسّد انتماءه لاستناده إلى نصّ قرآنيّ، وبذا يكون للتوظيف هذا مدلول دينيّ

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦ / ٤١٩ .
(٢) م. ن: ٦ / ٤١٩ .
(٣) م. ن: ١ / ٢٣ .

أُريدَ به التشريعات السماويّة التي أُنزلَت، لكنّ الإمام لم يطرح هذا العنوان للدلالة على المعنى القرآنيّ فحسب، بل أكسبه دلالة أخرى، قوامها (الفرض).

وبين الرصد من النفس، والعيون ومن الجوارح، يُشير الإمام عليه السلام إلى الآية القرآنيّة الكريمة التي تؤكّد شهادة الجوارح، إذ يقول: ((إنّ عليكم رصدًا من أنفسكم، وعيونًا من جوارحكم))[١]، توظيفًا مع قوله (سبحانه تعالى) : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النور:٢٤]، وبعد أن استقام له عود البثّ التوظيفيّ، بأن اقتنع السامع بالاسترسال نفسيًا، اتّجه صوب الرصد من الأنفس: (عَلَيْكُمْ رَصَدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ) إشارة إلى أنّ الله (سبحانه وتعالى) لا تخفى عليه خافية؛ ليرسم نصًّا مترابط الأنساق وفقًا لتوظيفة قرآنيّة خصّها بنصّه هذا، وإلى جانب ذلك ترى تعيين الآمال، إذ يقول الإمام عليه السلام : ((ووقَّتَ لكم الآمال))[٢]، وفيها توظيف لمعنى قوله (سبحانه وتعالى) : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[الأعراف:٣٤]، فيكون هذا التوظيف ذات فحوى قدسيّة لاستناده إلى المعنى القرآنيّ بالوقت المعين للأجل .

وقوله عليه السلام كذلك: ((وأحاط بكم الإحصاء))[٣]، الذي يرجع أثيله إلى قوله (سبحانه وتعالى) : ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[الكهف:٤٩]، بوصفه بيّنة توظيفيّة اهتملها في بناء نصّه من المعنى القرآنيّ لنيل دلالة (الإحصاء) .

وقال عليه السلام أيضًا: ((وخشعت الأصوات مُهَينِمَة))[٤]، ففي قوله يُتاح المجال لمعنى التعبير القرآنيّ أن يظهر بوضوح، إذ وظّف المعنى من قوله (سبحانه وتعالى):

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩ / ٢١٠ .
(٢) م. ن: ٦/ ٢٤٤ .
(٣) م. ن: ٩ / ٢١٠ .
(٤) م. ن: ٦/ ٢٤٩ .

﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[طه:١٠٨]، أي سكنت لعظمته، وذلّت متخافته.

ويظهر الأثر التوظيفيّ بفاعليّة المعنى القرآنيّ في قوله عليه السلام: ((ومبعوثون أفرادًا))[1]، وقد استقى هذا المعنى من قوله (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام:٩٤]، لذا استثمر الإمام عليّ عليه السلام الوجه المقابل لما جاءت به الآية الكريمة، إنّهم منفردون عن الأهل والمال والولد والخدم والأعوان.

وهكذا يطول بنا الأمر لو ذهبنا نتقصّى التوظيف المعنويّ في خطب الإمام عليّ عليه السلام، ولكنّا نكتفي ببعض ملامح يسيرة من صورة، ونرى أنّ في كلّ ما أسلفناه نستطيع أن نلاحظ دقّة التوظيف واختيار اللفظة مع تركيز على المعنى، فكلّ فقرة تؤدّي معنًى توظيفيّ لا يتكرَّر، وإنْ كان كلّ معنى يتّصل بسابقه، كما نجد في توظيفه أفكارًا مرتَّبة، ومنتقاة وقويّة الدلالة على المعنى.

المبحث الثاني: التوظيف العلميّ والغيبيّ

المطلب الأوّل: التوظيف العلميّ:

إنّ البيئة التي نزل بها القرآن الكريم، وهي بيئة شبه جزيرة العرب، كانت في قمّة التخلُّف العلميّ والدينيّ والحضاريّ، فقد جاء القرآن يحمل مبادئ وأفكارًا فاقت كلّ تلك الأفكار المطروحة، وظلّ يتحدّى حتّى العصر الحاضر وكلّ الأطروحات الأرضيّة في كلّ جوانبها. وإنّ إعجاز القرآن الكريم لم يقتصر على الإعجاز اللفظيّ والبلاغيّ، بل هناك أقسام أخرى من الإعجاز منها الإعجاز بالإخبار بالمغيّبات، والإعجاز التشريعيّ الشموليّ، والإعجاز العدديّ، ومنها الإعجاز العلميّ وهو موضوع هذا المطلب.

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ١٥٠ .

الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم ليس لأنّه ذكر حقائق علميّة سبق بها الكشوفات الحديثة فحسب، وإنّما مجرّد خلوّ القرآن الكريم من أيّ خطأ علميّ أو غيره يدلّ على إعجازه؛ لأنّه نزل في زمن يتخلف كثيرًا من الناحية الثقافيّة والعلميّة بمختلف جوانب الحياة، ولا يمكن أن يكون هذا الإعجاز مصادفة ومن دون هدف، لذلك تضّمن كثيرًا من المعلومات العلميّة التي يتعلّق بعضها بخلق الإنسان وطبيعة تكوينه من مادّة وروح، وبعضها عن الفضاء وعن السموات وعن الأرض وعن الكواكب وعن النبات وعن الحيوان ليُثبت به ما يريد أن يبلّغه للناس من حقائق جلّها متعلّقة بالإعجاز الإلهيّ، وحقائق علميّة يريد الإنسان أن يعلمها؛ لذا فإنّ ما جاء به القرآن الكريم من علوم، تحمل في طيّاتها من أخبار علميّة، لولا القرآن ما عرفنا شيئا عنها، قال (سبحانه وتعالى): ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[الإنسان:٢]، وقال: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١].

وإلى هذا المعنى أشار الإمام عليّ عليه السلام بقوله: ((إنّ فيه علم ما يأتي))[1]، تلك الحقائق العلميّة التي أخبر القرآن الكريم عن كثير منها قبل وقوعها وحدوثها عرضها الإمام عليه السلام بأسلوب علميّ مشوق، يُخاطب فيها العقل ويناجي الفكر ويشرح الحقائق العلميّة التي لا تخلو من غموض وخفاء، حاول الإمام عليه السلام أن يوظّف بعضًا منها متّخذًا من حقائقها العلميّة الحكمة والموعظة الحسنة. وفيما يأتي نعرض لمجموعة منها:

أوّلًا: السمع والبصر:

من نعم الله على عباده التي لا يبلغها الإحصاء، السمع والبصر الذي عرضها

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ٥٥٣ .

الخالق في آيات عدّة من القرآن الكريم، ومن هذا يفيد الإمام عليه السلام، إذ يقول: ((جعل لكم أسماعًا لتعي ما عناها، وأبصارًا لتجلو عن عشاها))[١]، لذا قدّم الإمام عليه السلام السمع على البصر تبعًا للقرآن الكريم، حيث ذكر السمع أوّلًا في العديد من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

هنا نلاحظ إجمالًا ما ذكره علماء التشريح بأنّ جهاز السمع أرهف وأدقّ من جهاز البصر، فهو يُدرك المجرَّدات، وقد أجمله الإمام في توظيفه للآية، وكان توظيف الآية قد جاء مرسلًا لدى الإمام ولا سيما أنّه إمام البلاغة والفصاحة العربيّة.

ثانيًا: ابتداء خلق السماء:

يفيد الإمام عليه السلام من جزء آخر من الإعجاز القرآنيّ، وهو يتحدّث عن ابتداء خلق السماء، إذ يقول: ((ثم زيّنها بزينة الكواكب))[٢]، فقد جاء التوظيف هنا منظورًا فيه إلى قوله (سبحانه وتعالى): ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[الصافات:٦]، لقد أفاد الإمام عليه السلام من هذه الآية في باب الإعجاز العلميّ في القرآن، إذ إنّ (الهاء) في (زيّنها) تعود إلى السماء الدنيا، لذلك قال الإمام عليّ عليه السلام هذه الفقرة موظّفًا هذا الجزء العلميّ وحكايته ذلك ((أنّ الكواكب لا تشتعل ولا تتوهّج وإنّما تُنير وتعكس ما يسقط عليها من نور النجوم))[٣]، والتوظيف هنا قد جاء الغرض منه لفت نظر المخلوق إلى قدرة الخالق.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/ ٢٥٧ .
(٢) م. ن: ١/ ٨٣ .
(٣) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ٦٥ .

وقوله عليه السلام: ((فسوّى منه سبع سماوات))[١]، وهذا ما يُشير إليه القرآن الكريم في قوله (سبحانه و تعالى) : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾[الطلاق:١٢]، فنلاحظ هذا من التوظيف الذي يواكب الآيات العلميّة التي تتحدّث عن خلق السماوات، وكأنّ الآية تريد أن تقول ((إنّ ذكر السبع لا يفيد الحصر بها، وإنّما خصّها الوحي بالذكر؛ لأنّ الذين خوطبوا بالقرآن آنذاك كان يسمعون عن الأفلاك السبعة، وكواكبها دون غيرها))[٢].

ثالثا: خلق الإنسان:

ونرى اهتمام الإمام عليّ عليه السلام بخلق الإنسان وهو يشير إلى أنّ الناس في الخلق سواء، لا فضل لأبيض على أسود، وأن يعتبروا بقدرة الله التي خلقت من المادّة الصمّاء إنسانًا عاقلًا فيقول: ((وسنّها بالماء حتّى خلصت، ولاطها بالبلّة حتّى لزبت))[٣]، وهو بهذا ينظر إلى قوله (سبحانه وتعالى) : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّيَ خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِـينٍ﴾[ص:٧١]، وقوله (عزّ وجلّ) : ﴿إِنَّـا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[الصافات:١١] .

ومثل هذا التوظيف يمنحُنا الاستدلال والاستقراء لنصل إلى استنتاج علميّ يرتكز على النصّ القرآنيّ مفاده ((أنّ القرآن يُعلن بأنّ الإنسان مخلوق من تراب، ومحتويات التراب بعد تحليله العلميّ حديثًا تبيّن أنّه يتألّف من ستّة عشر عنصرًا،... وتحليل جسم الإنس علميًا يتكوّن من نفس العناصر الستّة عشر التي يتكوّن منها التراب))[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٨٣ .

(٢) في ظلال نهج البلاغة: ١/ ١٠١ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٩٦ .

(٤) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ٧٣ - ٧٤ .

رابعًا: رفع أجرام الكواكب:

لقد عرض علينا الخالق عزّ وجلّ، رفع السماوات بغير عمد، في آيات عدّة من القرآن الكريم، وهذا العرض من الإعجاز القرآنيّ الذي يواكب الآيات العلميّة التي تتحدَّث عن الطبيعة وأسرارها، ومن هذا يفيد الإمام عليه السلام، إذ يقول: ((وسمكًا مرفوعًا))[1]، فقوله هذا أخذه من قوله (سبحانه وتعالى): ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾[النازعات:٢٨]، أي رفع أجرام الكواكب فوق رؤوسنا فعدّلها بوضع كلّ جرم في موضعه الذي به يتماسك ويتجاذب مع غيره من الأجرام. وهذا التوظيف قد حدث فيه نقل المعنى العلميّ من حالة خاصّة بالله (جلّ جلاله) إلى حالة علميّة أخرى خاصّة بشخص الإمام عليه السلام .

خامسًا: صورة الإنسان:

تُعدّ صورة آدم من أكثر الصور تكرارًا في القرآن الكريم، وفائدة التكرار أنّه يؤدّي عادة إلى استقراء الآراء والأفكار وتثبيتها في أذهان الناس، ولهذا نجد تكرارًا لصورة خلق آدم في القرآن كي يثبت في الأذهان حقيقة، إنّ آدم خلق من التراب.

وقد وظّف الإمام عليه السلام هذه الحقيقة في قوله: ((فجبل منها صورة ذات أحناء، ووصول، وأعضاء، وفضول))[2]، وهو بهذا ينظر إلى قوله (سبحانه وتعالى): ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[غافر:٦٤]، فالإمام عليه السلام يشير إلى ضمير منها يعود إلى التربة، والمراد بالصورة هي صورة آدم، وفي جسم الإنسان أجزاء كالرأس، واليدين، والصدر، والرجلين وإليها أومأ بكلمته أعضاء، وفيه أضلاع، وإليها أشار بالأحناء، وفيه مفاصل، وهي ملتقى العظام، ولولاها لعجز الإنسان عن الحركة،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٨٣ .
(٢) م. ن: ١/ ٩٦ .

وقد عبّر الإمام عنها بالفصول، وفيه عصب يشدّ الأعضاء بعضها إلى بعض، وهي المقصود من كلمة وصول من الوصول[١].

ففي الآية الكريمة صورة آدم وظّفها الإمام عليه السلام في التعبيرعن الانسجام التام بين اللفظ القرآنيّ والحقيقة التي تقول إنّ جسم الإنسان يتكوّن من العناصر الفلزّية واللافلزّية و ((تحليل جسم الإنسان علميًّا يتكوّن من نفس العناصر الستّة عشر التي يتكوّن منها التراب))[٢]. والإمام في توظيفه هذا أراد أن يبينّ الدلالة القرآنيّة التي تُربط بذهن الإنسان من طريق تكوينات صور خاصّة لتكون أبلغ تأثيرًا في نفسه وأشدّ وقعًا لتصنع تذكيرًا جميلًا يشكّل وحدة لغويّة متكاملة.

من خلال ما تقدّم تبيّن لنا أنّ الإمام تمكّن من عرض هذه العلوم بأسلوب أدبيّ رقيق وهذا ما نجده حقيقة ماثلة في خطبه، حيث سرد لنا أدقّ المسائل العلميّة بطريقة بليغة تبهج النفس.

المطلب الثاني: توظيف الرسل والأنبياء.

إنّ الغاية الأساسيّة من بعثة الأنبياء هي هداية الإنسان وتوجيهه وتعليمه، لذلك تعدّ في جوهرها وساطة بين الخالق والمخلوق، وهدفها كما قلنا هداية الخلق إلى الحقّ، وذكر الكثير من أخبار الأنبياء والرسل يحمل في طيّاته دلالة مؤثّرة، لما تثيره من التشويق لدى المتلقّين، ولما تستدعيه من الانتباه إلى تتبّع أخبار الأنبياء، قال (سبحانه وتعالى): ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الممتحنة:٦]، وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾[الممتحنة:٤]، والقدوة تلك الحسنة الرائعة عرضها الإمام بأسلوب رائع، الذي له دلالته في النصّ النثريّ من أجل

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١/ ١١٣ .
(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ٤٧ .

إحداث التأثير في المتلقّي، وتوجيه تركيزه نحو الخير. ولو حاولنا أن نتلمس توظيف هذه القدوة في بعض خطب الإمام عليّ عليه السلام لوجدنا نماذج كثيرة تشتمل على بعث الرسل والأنبياء، استعملها الإمام عليّ عليه السلام في خطبه، فمنها قوله: ((فبعث فيهم رسلهم))[١]، وهو في هذا ينظر إلى قوله (سبحانه وتعالى): ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾[النساء:١٦٥].

لقد اتّخذ من الرسل، قدوة يتمثّلها في قوله، مفيدًا من الدور الفاعل للمفردة القرآنيّة في السياق الخطابيّ، وما تحمله من طاقة دلاليّة مؤثّرة في نفس المستقبل. ونلاحظ أيضًا سموّ التوظيف في قوله عليه السلام: ((لقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كافٍ لك في الأسوة، ودليل لك على ذمّ الدنيا))[٢]، موظّفًا قوله (سبحانه وتعالى): ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب:٢١]، وغاية ذلك تحقيق التأثير المطلوب وجدانيًا وعقليًا في عامّة الناس وخاصّتهم، فضلًا عن احتواء روحيّة المتلقّي ومشاعره من خلال مرتكزات قرآنيّة.

وقوله عليه السلام: ((وإن شئت ثنّيت بموسى كليم الله... والله، ما سأله إلّا خبزًا يأكله...))[٣]. وكأنّه أراد أن يتمثّل بقوله (سبحانه وتعالى): ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص:٢٤]، وقوله أيضًا: ((إن شئت ثلّثت بداود صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنّة، فلقد كان يعمل سفائق الخوص بيده...))[٤]، وقوله أيضًا: ((وإن شئت قلتُ في عيسى بن مريم لقد كان يتوسّد الحجر، ويلبس الخشن))[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١١٣.
(٢) م. ن: ٩/ ٢٢٩.
(٣) م. ن: ٩/ ٢٢٩.
(٤) م. ن: ٩/ ٢٢٩.
(٥) م. ن: ٩/ ٢٢٩.

ويبدو أنّ هذا الاستخدام كان له أبعاد القدوة الحسنة يُدركها السامع من السياق وقرائن الأحوال التي تتمثّل بالاقتداء. وقد هدف هذا التوظيف إلى تحريك وجدان الإنسان لملامسة عالم الفضيلة والكمال وتحرّي السلوك الأفضل في سيرته الحياتيّة قولًا وممارسة وتذكيرًا.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من بحثنا لاحت لنا بعض النتائج التي توصّلنا إليها، فضلًا عمّا تمّ طرحه ومناقشته كلّا في موضعه، وذلك فيما يأتي:

أوّلًا: استطاع الإمام عليه السلام أن يُقيم في هذا التوظيف مرجعيّة ثنائيّة مفادها الانتماء للموروث القرآنيّ والانتماء اللغويّ، لينتج من طريقها وحدة لغويّة قوامها القرآن والدين واللغة.

ثانيًا: كان الإمام عليه السلام واسع الثقافة ومن جوانب تلك السعة الثقافيّة الجانب القرآنيّ.

ثالثًا: في تتبُّعنا لفنّه الخطابيّ وجدنا أنّ التوظيف خلاصة تأمّل في الذات، ونوع من أنواع الذوبان في ذات الله، وأنّ هذا التوظيف وليد النضوج الفكريّ والتأثّر بالنصوص القرآنيّة وجذور النشأة الأولى.

رابعًا: تنوّع التوظيف القرآنيّ في الخطب على مستوى البناء، فمنها التوظيف اللفظيّ، ومنها المعنويّ، والعلميّ، والرسل والأنبياء، ممّا يشير إلى إمكانيّات فنيّة للإمام في اهتمال تلك القرآنيّة في تصوير التوظيف.

خامسًا: كان التوظيف في خطب الإمام عليّ عليه السلام واضحًا بسيطًا ليس فيه غموض أو تعقيد، كشف عن استثمار أمثل من لدن الإمام عليه السلام للمفردة القرآنيّة.

سادسًا: تمكّن الإمام عليّ عليه السلام من عرض بعض العلوم بوساطة التوظيف العلميّ بأسلوب أدبيّ رقيق، وهذا ما وجدناه حقيقة ماثلة في خطبه، إذ سرد لنا أدقّ المسائل العلميّة بطريقة بليغة تُبهج النفس وتُريح العقل.

سابعًا: في تتبُّعنا لفنِّه الخطابيّ وجدنا مصداقًا لتأكيد أهميّة المفردة القرآنيّة وصقلها

من طريق القرآن، فضلًا عن السمة التعبيريّة التي تنفرد بها المفردة القرآنيّة، وما تؤدّيه من انسجام موسيقيّ تراعى فيها الدلالات الفنيّة واللغويّة والاجتماعيّة والنفسيّة.

ثامنًا: دقّة التوظيف واختيار اللفضة مع تركيزه على المعنى، فكلّ فقرة تؤدّي معنى توظيفيّ لا يتكرّر، وإن كان كلّ معنى يتصّل بسابقه، كما نجد في توظيفه أفكارًا مرتّبة، ومنتقاة وقويّة الدلالة على المعنى.

تاسعًا: ظهر أنّ غاية الإمام عليه السلام وهدفه من هذا التوظيف تحريك وجدان الإنسان لملامسة عالم الفضيلة والكمال، وتحرّي السلوك الأفضل في سيرته الحياتيّة قولًا وممارسة وتذكيرًا.

عاشرًا: التوظيف يعدّ أنموذجًا للنثر الأدبيّ بكلّ خصائصه وسماته الفنيّة، من التأنّق في الصياغة، والاعتماد على التصوير، وقوّة التأثير الوجدانيّ.

وأخيرًا، نحمد الله (عزّ وجلّ) على حُسن معونته لإتمام هذا البحث، الذي قصدنا به القربة منه، وإظهارًا لمهارات الإمام وقدراته في توظيف اللفظة القرآنيّة، التي غيّبتها الأيّام عن ذاكرة البحث والدراسة، فوجدنا أنفسنا مدينين له بالوفاء وحسن الذكر، سائلين الله (سبحانه وتعالى) أن يوفّقنا لخدمة القرآن الكريم، إنّه سميع الدعاء.

المصادر والمراجع :

*القرآن الكريم.

١. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (شخصيته وعلمه)، علي محمّد الصلابيّ.

٢. الإعجاز العلمي في القران الكريم، د. حميد النجديّ، دار الأنصار، إيران، ط٢، ٢٠٠٧م .

٣. إعجاز القران، أبو بكر محمّد بن الطيّب الباقلانيّ، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د.ت) .

٤. التعبير القرآنيّ، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، ١٩٨٧م .

٥. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ وشركاؤه، مصر، ط٢، ١٩٦٥م.

٦. طرق تنمية الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، النهضة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٦م .

٧. في ظلال نهج البلاغة، الشيخ محمّد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م .

٨. في ظلال نهج البلاغة، الشيخ محمّد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م .

٩. الكامل في اللغة والأدب، أبو العبّاس المبرد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٩م .

١٠. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١١. المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، ١٩٧٢م.

١٢. المنجد في اللغة، علي بن الحسن الهنائي الازدي ابو الحسن الملقب ب(كراع النمل)، تحقيق: دكتور احمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي،نشر:عالم الكتب، القاهرة، ط ٢.